٣ـ حسن البنــــا
الرجل القرآني

بقلم روبير جاكسون
للاستاذ أنور الجندي

... في الأزقة (١) الضيقة ، في أحشاء القاهرة ، في حارة الروم ، وسوق السلاح وعطفة نافع ، وحارة الشماشرجي . . بدأ الرجل يعمل ، وتجمع حوله نفر قليل ؛ وكان حسن البنا الداعية الأول في الشرق ، الذي قدم للناس برنامجا مدروسا كاملا ، لم يفعل ذلك أحد قبله ؛ لم يفعله جمال الدين ولا محمد عبده ، ولم يفعله زعماء الأحزاب والجماعات التي لمت أسماؤهم بعد الحرب العالمية الأولى . .

. . وأستطيع بناء على دراساتي الواسعة أن أقول إن حياة الرجل وتصرفاته كانت تطبيقا صادقا للمبادئ التي نادى بها

وقد منحه « الإسلام » كما كان يفهمه ، ويدعو إليه ، حلة متألقة ، قوية الأثر في النفوس ، لم تتح لزعماء السياسة ولا لرجال الدين !

لم يكن من الذين يشترون النجاح بثمن بخس ، ولو بجعل الواسطة مبررة للغاية ، كما يفعل رجال السياسة ، ولذلك كان طريقه مليئا بالأشواك ، وكانت آية متاعبه أنه يعمل في مجرى تراكمت فيه الجنادل والصخور ، وكان هذا مما يدعوه إلى أن يدفع أتباعه إلى التسامي ويدفعهم إلى التغلب على مغريات عصرهم ، والاستعلاء على الشهوات التي ترتطم بسفن النجاة فتحول دون الوصول إلى البر

كان يريد أن يصل إلى الحل الأمثل ، مهما طال طريقه ، ولذلك رفض المساومة ، ولفى من برنامجه أنصاف الحلول ، وداوم في إلحاح القول بأنه لا تجزئة في الحق المقدس في الحرية والوطنية والسيادة . . وكان هذا مما سبب له المتاعب والأذى

واستدعى بعض من حوله الثمرة ، وعجزت أعصابهم عن أن تقاوم البريق ، فسقطوا في منتصف الطريق ومضى الركب خفيفا

كان يؤمن بالواقعية ويفهم الأشياء على حقيقتها ، مجردة من الأوهام ، وكان يبدو — حين تلقاه — هادئا غاية الهدوء وفي قلبه مرجل يغلي ، ولهيب يضطرم ؛ فقد كان الرجل غيورا على الوطن الإسلامي ، يتحرق كلما سمع بأن جزءاً منه قد أصابه سوء أو ألم به أذى ، ولكنه لم يكن يصرف غضبته — كبعض الزعماء — في مصارف الكلام أو الضجيج أو الصياح ، ولا ينفس على نفسه بالأوهام ، وإنما يوجه هذه الطاقة القوية إلى العمل والإنشاء والاستعداد لليوم الذي يمكن أن تتحقق فيه آمال الشعوب

وكان في عقله مرونة ، وفي تفكيره تحرر ، وفي روحه إشراق ، وفي أعماقه إيمان قوي جارف

وكان متواضعا تواضع من يعرف قدره ، متفائلا ، عف اللسان ، عف القلم ، يجل نفسه من أن يجري مجرى أصحاب الألسنة الحداد

* * *

كان مذهبه السياسي أن يرد مادة الأخلاق إلى صميم السياسة بعد أن نزعت منها ؛ بعد أن قيل إن السياسة والأخلاق لا يجتمعان

وكان يريد أن يكذب قول تليران « إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفاء آرائنا الحقيقية » فقد كان ينكر أن يضلل السياسي سامعيه أو أتباعه ، أو أمته

وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ، ورجل الشارع ، فوق خداع السياسة ، وتضليل رجال الأحزاب

ولأول مرة خاطب الجماهير زعيم بما يفتح العيون على الحقائق ، ووضع دعوته على الشرحة ، وقبل أن يسأل عن أدق الأشياء فيها وفي حياته الخاصة ، فقد كانت توجه إليه عقب «أحاديث» الثلاثاء قصاصات ، فيها أسئلة غاية في الإحراج ،

(١) لم يذكر الكاتب أن دعوة الإخوان بدأت في الاسماعيلية

ولـكنه كان يجيب عنها فى منتهى البساطة والوضوح

وكأنما أراد أن ينشئ للشرق روحا جديدة من المثل العليا، هذه المادة الضائعة، التى هزم بها الشرق الدنيا وفتح باب أطراف الأرض، كان يريد أن ينشئ القوة التى تصمد فى وجه الخطرين الداهمين اللذين يهددان العالم وهما: الإلحاد والاستعباد

كان يريد أن يجعل من الإسلام قوة تدفع الشيوعية الضالة، والرأسمالية الزائغة، وكان يطمع فى أن يرفع الإسلام ويسمو به عن أن يكون خادما للاستعمار باسم الديمقراطية، أو للشيوعية باسم الاشتراكية، وإنما كان يرى الاسلام نظاما كاملا فوق الشيوعية والديكتاتورية والرأسمالية جميعا

* * *

وقد استطاع الرجل — رغم كل ما دبر لوضع حد لدعوته أو حياته — أن يعمل، وأن يضع فى الأرض البذرة الجديدة، بذرة المصحف، البذرة التى لا تموت بعد أن ذوت شجرتهـا القديمة، ولم يمت الرجل إلا بعد أن ارتفعت الشجرة فى الفضاء واستقرت

ولن يستطيع مصلح من بعد، أن ينكر أن الرجل رفع من طريقه الكثير من العقبات والأشواك والصخور

وكل حركة إصلاحية أو استقلالية تظاهر فى الشرق من بعد، سواء فى مصر أو فى المغرب أو فى إندونيسيا، يجب أن يلاحظ فيها ذلك الخيط الدقيق الذى يربطها بالرجل القرآنى، الذى حمل المصحف ووقف به فى طريق رجال الفكر الحديث الذين كانوا يسخرون من ثلاث كلمات: «شرق، وإسلام، وقرآن»

كان الرجل يريد أن يقول آن للشرق أن يمحص أفكار الغرب قبل أن نعتنقها، بعد أن غدت الحضارة فى نظر أصحابها لاتوفى بما يطالب منها، كان يقول علينا أن نوزن هذه القيم، وأن نثق بأنفسنا، وأن نعتقد أن ما عندنا لا يقل عما عند الغرب أو على الأقل لا يستحق الإهمال

وأن على الشرق أن ينشئ للدنيا حضارة جديدة، تكون أصلح من حضارة الغرب، قوامها امتزاج الروح بالمادة واتصال السماء بالأرض

وما كنت تعرض لأمر من أمور الحضارة الغربية، إلا رده إلى مصادره الأولى فى الحضارة الإسلامية، أو فى القرآن والسنة والتاريخ

كان الرجل القرآنى يؤمن بأن الاسلام قوة نفسية قائمة فى ضمير الشرق، وأنها تستطيع أن تمده بالحيوية التى تمكن له فى الأرض وتتيح له الزحف إلى قواعده واستخلاص حقوقه وحرياته

كان يؤمن بأن الشرق وحدة قائمة كاملة، لو تخلص من مناورات الساسة ومن خلاف الطامعين، لقاوم وصارع

لبحث صلة أنور الجندى

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة، والملاءمة بين الطبع والصنعة، وحد البلاغة، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة: الذوق، والأسلوب، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه، ودعاة العامية، ودعاة الرمزية، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد